الباب التاسع
نماذج من رواية حماد للقصص والأخبار

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

نماذج من روايته للشعر

١ ــ «قال حماد الراوية: حدثني سماك بن عبيد راوية الأعشى عن الأعشى»[١].

٢ ــ «يروى عن حماد الراوية، قال: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: أرأيت قول أبيك:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوابر
بجيش تضِل البلق في حجراته ... ترى الأكم منه سجداً للحوافر
وجمعٍ كمثل الليل مرتجِس الوغى ... كثيرٍ تواليه سريع البوادر
أبت عادةٌ للوَرد أن يكرَه الوغى ... وحاجةُ رمحي في نمير بن عامر

فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقعة؟ فقال: نعم.... فذكرت هذا لابن أُبَيّ الهذلي، فحدثني عن أبيه... قال وكان قد بلغ مائة سنة، وكان قد أدرك أيام الحجاج... قال: فحدثت بهذا الحديث الخثعمي، وكان راوية أهل الكوفة، فحدثني...»[٢].

٣ ــ «أخبرنا جعفر بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن الحسن

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ ١، ص ٢٥٩.
(٢) المبرد، الكامل، جـ ٢، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠٠.

الأزدي، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: قال الأصمعي: كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس، فهو عن حماد الراوية إلا نتفاً سمعتها من الأعراب وأبي عمرو بن العلاء»[1].

٤ ــ قال عامر بن الطفيل:

إِذَا خِفْتَ غَدْراً في فَزَارَةَ فَاسْتَجِرْ ... خِذَامَ بْنَ زَيْدٍ وَابْنِ عَمٍّ خَذَامِ
هُمَا مَنَعَانِي مِنْ عُيَيْنَةَ بَعْدَمَا ... أَشَارَ بِمَصْقُولٍ عَلَيَّ حُسَامِ

قال هشام: أصبتها في كتاب حماد الراوية خلاف روايتنا:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى المَنَاعَةَ فَاسْتَجِرْ ... خِذَامَ بْنَ زَيْدٍ إِنْ أَجَارَ خَذَامُ
دَعَوْتُ أَبَا الْجَبَّارِ أَخْتَصُّ مالِكاً ... وَلَمْ يَكُ قِدْماً مَنْ أَجَرْتَ يُضَامُ
فَقَامَ أَبُو الجَبَّارِ يَهْتَزُّ لِلنَّدى ... كَمَا اهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفْرَتَيْنِ حُسَامُ
وَكُنْتَ سَنَاماً مِنْ فَزَارَةَ نَامِياً ... وَفِي كُلِّ قَوْمٍ ذِرْوَةٌ وَسَنَامُ
فَنَكَّلْتَ عَنِّي الشَّارِعِينَ وَلَمْ أَكُنْ ... مَخَافَةَ شَرِّ الشَّارِعِينَ أَنَامُ[2]

ولعلنا نتنبه هنا إلى اختلاف المجرى، الأمر الذي يعني اختلاف المصدرين واختلاف الروايتين كل الاختلاف.

٥ ــ

«فأعددت عجلي لحسن الدواء ... لم يتلمس حشاها طبيب[3]

وروى الأصمعي: وأردفته كصفاة المسيل، يريد أتان السيل، وهي

---

(١) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص ٧٣.

(٢) ابن الأنباري المفضليات، ص ٣٣. خذام بن زيد، وكان شريفاً، وابن عمته جبار بن مالك أجارا عامر بن الطفيل بن عيينة بن حصن يوم الرقم بعد أن هزمت فزارة بني عامر.

(٣) ابن الأنباري، شرح المفضليات، ص ص ٥١٢ ـ ٥١٣.
وهي قصيدة لثعلبة بن عمير، أحد شعراء الجاهلية من ١٤ بيتاً.

صخرة، وهي أشد الصخر لأنها تشرب الماء وتصيبها الشمس فتصلبها. . . هذا كله قول الأصمعي. . . ويروى:

وأعددت عجلي ليوم اليهاج

وروى حماد:

وأعددت عجلي لنقع الصباح

النقع هنا الصوت، والاستغاثة في الصبح.

فتبّعنـــــه طعنـــْـــة ثـــــرة يسيـل علـى الـوجـه منهـا صبيـب

هكذا رواه حماد وخالد وأبو عبيدة»[1].

٦ ــ «كان ابن الجصاص وحماد يرويان: ذهبت من الهجران لامرىء القيس، ورواها المفضل لعلقمة»[2].

٧ ــ «اختلفوا في جمع هذه القصائد السبع، فقيل، إن العرب كان أكثرها يجتمع بعكاظ ويتناشدون، فإذا استحسن الملك قصيدة، قال: علقوها وأثبتوها في خزانتي. وأما قول من قال: إنها علقت في الكعبة، فلا يعرفه أحد من الرواة، وأصح ما قيل في هذا: أن حماد الراوية، لما رأى زهد الناس في حفظ الشعر، جمع هذه السبع وحضهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا»[3].

المناقشة:

هذه نماذج من الشواهد التي بقيت لنا مما يشير إلى رواية حماد. فهو جمع شعر امرىء القيس، وشعر زيد الخيل، وإلى جانب ذلك جمع السبع

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥١٤. ورواها أيضاً الأصمعي. وخالد هو خالد بن كلثوم.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦٥.
(٣) النحاس، شرح القصائد السبع، جـ ١، ص ١٨٢.

المعلقات، وشارك في بعض روايات شعر عامر بن الطفيل.

ومع أن الأصمعي يشكك في روايته، فإنه هو نفسه كان راوية لشعر امرىء القيس، وطبيعي أن يكون المجموع الذي رواه الأصمعي (صحيحاً) لأنه لا يعقل أن يروي الأصمعي هذا الشعر على أنه منحول. وقد تضافرت روايات أخرى إلى جانب رواية حماد، وهو أمر يحقق صدق روايته التي جاءت عن الأصمعي والتي كان مصدرها حماد. وما رواية الكلبي لأبيات عامر بن الطفيل، وقوله: «**خلاف روايتنا**»، إلا دليل على أن هناك روايات أخرى إلى جانب روايته، إما معاصرة له، أو سابقة عليه.

وهذا ما نلحظه في رواية السبع الطوال، فقولهم: «**جمع هذه السبع**»، يعني أن هذا الشعر كان موجوداً، وإنما اختار للناس أشهرها على ألسنة الرواة. وفي هذا الخبر ما يدل على أنه حافظة راوية للشعر ومهتم به، وقد سبق غيره في هذه القصائد السبع كما بيّنا قبل هذا.

ولا تدع الشواهد أي مجال للظن في تفرد حماد برواية الشعر، فابن الأنباري في شرحه للمفضليات، يذكر إلى جانب رواية الضبي، رواية حماد، وإلى جانبه رواية الأصمعي، وخالد بن كلثوم، وأبي عبيدة، وأغلبهم رواة بصريون ثقاة. وهذا ما نجده أيضاً في رواية المفضل لعلقمة، على حين أن ابن الجصاص وحماد يرويان لامرىء القيس.

فحماد، إذن أحد الرواة الذي يشترك معه آخرون، فلا يذكرون مايطعن فيه أو يجرحه، حتى ولو اختلفت نسبة الشعر.

وتبلغ درجة توثيق حماد في روايته لشعر زيد الخيل وابنه، فعلى الرغم من أن ابن الشجري، الذي نقل عن أبي حاتم شَكَّه في أبيات منسوبة للحطيئة، لم يذكر شيئاً هنا عن رواية حماد لأبيات عروة بن زيد الخيل،

وإن المبرد العالم البصري، الثقة المتشدد، ليأتي برواية أبيات زيد الخيل، فيسعفها بسند شديد التوثيق، بحيث يجعل الدارس يطمئن اطمئناناً شديداً إلى قوة ذاكرة حماد، على الرغم مما قد يكون شابهاً من خلل أو اضطراب.

obeikandl.com

الفصل الثاني

التفرد في الرواية ونماذج منه

أ ــ زهير:

١ ــ

فِيــمَ لَحَــتْ إِنَّ لَــوْمَهَــا ذُعُــرُ ... أَحْمَيْــتِ لَــوْمــاً كَــأَنَّــهُ الإِبَــرُ
مِــنْ غَيْــرِ مَــا تُلْصِــقُ الْمَــلاَمَــةَ إِلـ ... ــلاسُخْــفُ رَأْيٍ وَسَــاءَهَــا عُصُــرُ
حَتَّــى إِذَا أَدْخَلَــتْ مَــلاَمَتَهَــا ... مِــنْ تَحْــتِ جِلْــدِي وَلا يُــرَى أَثَــرُ
قُلْــتُ لَهَــا يَــا أَرْبَعِــي أَقُــلْ لَــكِ فِــي ... أَشْيَــاءَ عِنْــدِي مِــنْ عِلْمِهَــا خَبَــرُ
قَــدْ يُقْبِــلُ الْمَــالُ بَعْــدَ حِيــنٍ عَلَــى الْـ ... مَــرْءِ وَحِينــاً لِهُلْكِــهِ دُبُــرُ

---

(١) شرح زهير، ص ص ٢٢٩ ـ ٢٣١. وجاء فيه: «لم يروها المفضل في كتاب حماد، وقرئت على أبي عمرو الشيباني». وهذا يعني أن مصدرها الأساسي هو حماد، ولذلك فإن عبارة «يروى»، التي جاءت في شرح شعر زهير هنا، تعني اختلاف هذه الرواية عن الرواية الأساسية، وهذا ما تدل عليه رواية الشطر الأول من البيت الأول، أي إن هذه الرواية ربما لم تكن هي الأصل الذي رواها فيه حماد، بل تعرضت إلى اختلاف، أو أن هناك رواة آخرين شاركوا حماداً في روايتها.
ويروى الشطر الأول من البيت الأول: «همت بلوم ولومها ذعر».
لحت: لامت. ذعر: مفزع. أحميت: جعلته حاراً. يقول لمت لوماً كأنه الإبر في الصدر.
من غير ما يلصق الملامة: من غير ما تلزم الملامة. يقول: اجتمعت علي خصلتان: الكبر والسخاء، فجعلت تعتل علي. =

وَالْمَالُ مَا خَوَّلَ الإِلٰهُ فَلاَ ... بُدَّ لَهُ أَنْ يَحُوزَهُ قَدَرُ
وَالْجَدُّ مِنْ خَيْرِ مَا أَعَانَكَ أَوْ ... صُلْتَ بِهِ وَالْجُدُودُ تُهْتَصَرُ
قَدْ يَقْتَنِي الْمَرْءُ بَعْدَ عَيْلَتِهِ ... يَعِيلُ بَعْدَ الْغِنَى وَيَجْتَبِرُ
وَالإِثْمُ مِنْ شَرِّ مَا يُصَالُ بِهِ ... وَالْبِرُّ كَالْغَيْثِ نَبْتُهُ أَمِرُ
قَدْ أَشْهَدُ الشَّارِبَ الْمُعَذَّلَ لاَ ... مَعْرُوفُهُ مُنْكَرٌ وَلاَ حَصِرُ
فِي فِتْيَةٍ لَيِّنِي الْمَآزِرِ لاَ ... يَنْسَوْنَ أَحْلاَمَهُمْ إِذَا سَكِرُوا
يَشْوُونَ لِلضَّيْفِ وَالْعُفَاةِ وَيُو ... فُونَ قَضَاءً إِذَا هُمُ نَذَرُوا

٢ ـ

مَرَجَ الدِّينُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ ... مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الثَّبَجْ
يَرْهَبُ السَّوْطَ سَرِيعاً فَإِذَا ... وَنَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ
سَلِسَ الْمَرْسِنِ مَمْحُوصَ الشَّوَى ... شَنِجَ الأَنْسَاءِ مِنْ غَيْرِ فَحَجْ(١)

= يا اربعي: يا هذه اربعي، أي كفي وانتظري ولا تتعجلي. خبر: علم. دبر: أدبار.
خول: أعطى. يحوز القدر: يجمعه القدر، يذهب به.
الجد: الحظ. صلت به: قويت به. تهتصر: تكسر وتعطف.
يقتني: يجمع ويستغني. عيلته: فقره. يعيل: يفتقر.
ما يصال به: ما يفتخر به. أمر: كثير يزداد.
المعذل: الملوم. حصر: ضيق.
ليني: أي إنهم ملوك ليست ثيابهم بغلاظ جافة.

(١) شرح شعر زهير، ص ٢٥٨.
مرج: اختلط، لم يكن لهم من يقيمهم على طاعة. الدين: الطاعة.
الحارك: موضع المنسج من البعير. محبوك: مفتول. الثبج: الوسط، أي الظهر.
ونت: فترت. معج: مر مراً سريعاً.
سلس: أي سلس القياد. المرسن: موضع الرسن من الأنف.
الممحوص: القليل اللحم. شنج الأنساء: منقبض فيه توتير، والأنساء: جمع نسا، وهو عرق من منشق ما بين الفخذين فيستمر في الرجل، وهما نسيان إثنان، =

٣ ــ «قال حماد: وفد رجل من بني عبس، يقال له شقيق، على النعمان بن المنذر، أو بعض الملوك، فأعطاه وحباه وأكرمه. وإنه لكذلك إذ طعن في جنازته، فواده، الملك وبعث بما كان معه إلى أهله. فقال في ذلك زهير:

لَقَدْ أَوْرَثَ الْعَبْسِيُّ مَجْداً مُؤَثَّلاً ... وَمَحْمَدَةً مِنْ بَاقِيَاتِ الْمَحَامِدِ
حِبَاءُ شَقِيقٍ عِنْدَ أَحْجَارِ قَبْرِهِ ... وَمَا كَانَ يُحْبى قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدِ
أَتَى قَوْمَهُ مِنْهُ حِبَاءٌ وَكُسْوَةٌ ... وَرُبَّ أَمْرِىءٍ يَسْعَى لآخَرَ قَاعِدِ
حِيَاضُ الْمَنَايَا لَيْسَ عَنْهَا مُزَحْزَحٌ ... فَمُنْتَظِرٌ ظِمْئاً كَآخَرَ وَارِدِ
خَبَالٌ وَسُقْمٌ مُضْنِىءٌ وَمَنِيَّةٌ ... وَمَا غَائِبٌ إِلاَّ كَآخَرَ شَاهِدِ
فَلَوْ كَانَ حَيٌّ نَاجِياً لَوَجَدْتَهُ ... مِنَ الْمَوْتِ فِي أَحْرَاسِهِ رَبَّ مَارِدِ
أَوِ الْحَضْرِ لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا مَالٍ طَرِيفٍ وَتَالِدِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ تَخْلُدُ بَعْدَهُمْ ... أَحَادِيثُهُمْ وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِخَالِدِ»(١)

= وإذا كان في نسا الفرس بعض التشنج والتقبض كان أنعت، وهو في القوائم الصافن. الفحج: تباعد ما بين الرجلين.

وانظر القصيدتين اللتين جاءتا عنه لزهير؛ الأولى:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتَهَا بِالْفَدْفَدِ ... كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ

(ص ص ١٩٤ ـ ٢٠٠).

التي يبدو أن الأصمعي رواها أيضاً، والثانية:

أَعَنْ كُلِ أَخْدَانٍ وَإِلْفٍ وَلَذَّةٍ ... سَلَوْتُ وَمَا تَسْلُو عَنِ ابْنَةِ مُدْلِجِ

التي يبدو أن أبا عمرو الشيباني رواها كذلك.

شرح شعر زهير، ص ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

(١) شرح شعر زهير، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

وجاء فيه: وقال صعوداء: «ويقال: القصيدة للنابغة... وهذا غلط من الرواة».

وداه: أعطى ديته.

المؤثل: الراسخ الزاكي.

الحباء: العطاء. =

ب ــ أعشى همدان:

عن أبي عبيدة والأصمعي قال ـ وافق روايتهم الهيثمُ بن عدي عن حماد الراوية ـ قال:

كان أعشى همدان، أبو المصبّح، ممن أغزاه الحجاج بلاد الديلم ونواحي دستَبى، فأسر، فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدة، ثم إن بنتا للعلج الذي أسره هويته، وصارت إليه ليلاً، فمكنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثماني مرات، فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم، فقال لها: هكذا نفعل كلنا، فقالت له: . . . . ، أفرأيت إن خلصتك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها: نعم، وعاهدها، فلما كان الليل، حلت قيوده، وأخذت به طرقاً تعرفها، حتى خلصته، وهربت معه. فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فمن كان يفديه من الأسر مالها فهمدان تفديها الغداة أيورها»[1]

جـ ــ كثير عزة:

«حماد الراوية قال: قال لي كثير عزة: ألا أخبركما عما دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت: نعم، قال: شخصت أنا والأحوص[2] ونصيب (ثم ذكر قصة طويلة جرت معهم والخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، واستشهد فيها بأشعار لكثير والأحوص).

= الضمء: حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورود.
الأحراس: جمع حرس. رب مارد: قصر باليمن.
الحضر: مدينة قديمة بإزاء تكريت. الطريف: المحدث.
التالد: القديم الموروث.
الأحاديث: جمع أحدوثة، وهي ما يتحدث به الناس من الأخبار.

(١) الأغاني، جـ ٦، ص ٣٥.
(٢) ابن عبد ربه، العقد، الأغاني، جـ ٢، ص ص ٨٦ ـ ٩١.

قال حماد الراوية: أتيت مكة، فجلست في حلقة عمر بن أبي ربيعة، فتذاكروا من العذريين، فقال عمر بن أبي ربيعة: «كان لي صديق من عذرة...»[1].

د ـ عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه):

«مما أثبته حماد الراوية من شعره (أي عمر بن عبد العزيز).

إِنَّـــهَ الْفُـــؤَادَ عَـــنِ الصِّبَـــا ... وَعَـــنِ انْقِيَـــادَكَ لِلْهَـــوَى
فَلَعَمْـــرُ رَبِّـــكَ إِنَّ فِـــي ... شَيْـــبَ الْمَفَـــارِقِ وَالْجُـــلاَ
لَـــكَ وَاعِظـــاً لَـــوْ كُنْـــتَ تَتَّعِـ ... ـــظُ اتِّعَـــاظَ ذَوِي النُّهَـــى
حَتَّـــى مَتَـــى لاَ تَـــرْعَـــوِي ... وَإِلَـــى مَتَـــى؟ وَإِلَـــى مَتَـــى؟
بَلِـــيَ الشَّبَـــابُ وَأَنْـــتَ إِنْ ... عُمِّـــرْتَ رَهْـــنٌ لِلْبِلَـــي
وَكَفَـــى بِـــذٰلِـــكَ زَاجِـــراً ... لِلْمَـــرْءِ عَـــنْ غَـــيٍّ كَفَـــى[2]

هـ ـ امرؤ القيس:

«قال امرؤ القيس في رواية حماد:

تَطَـــاوَلَ اللَّيْـــلُ عَلَيْنَـــا دَمُّـــون
دَمَّـــون إِنَّـــا مَعْشَـــرٌ يَمَـــانُـــون
وَإِنَّنَـــا لِأَهْلِنَـــا مُحِبُّـــون»[3]

---

(١) الأغاني، جـ ١١، ص ١٥٧. وانظر بقية القصة ص ١٥٨ ـ ١٥٩.
(٢) ابن رشيق، العمدة، جـ ١، ص ٣٨.
(٣) البكري، معجم ما استعجم، جـ ٢، ص ٥٥٧.
وجاء في البغدادي الخزانة، جـ ٣، ص ٤٥٩.
«كان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرىء القيس وأشعاره، ذلك لأن امرأ القيس كان مسترضعاً في بني دارم، فأقام فيهم وهم رهط الفرزدق».

و ــ عروة بن زيد الخيل:

«قال حماد الرواية كان عروة بن زيد الخيل فارساً شجاعاً، وشهد القادسية، فحسن بلاؤه وهو القائل:

بَـرَزْتُ لأَهْـلِ الْقَـادِسِيَّـةِ مُعْلَمـاً ... وَمَـا كُـلُّ مَـنْ يَغْشَـى الْكَـرِيهَـةَ يُعْلَـمُ
وَيَـوْمـاً بِـأَكْنَـافِ النُّخَيْلَـةِ قَبْلَهَـا ... شَهِـدْتُ فَلَـمْ أَبْـرَحْ أُدَمَّـى وَأُكْلَـمُ
وَأَرْدَيْـتُ مِنْهُـمْ فَـارِسـاً بَعْـدَ فَـارِسٍ ... وَمَـا كُـلُّ مَـنْ يَلْقَـى الْفَـوَارِسَ يَسْلَـمُ
وَأَيْقَنْـتُ يَـوْمَ الـدَّيْلَمِيِّيـنَ أَنَّنِـي ... مَتَى يَنْصَرِفْ وَجْهِي عَنِ الْقَوْمِ يُهْزَمُوا
فَمَـا رُمْـتُ حَتَّـى مَـزَّقُـوا بِرِمَـاحِهِـمْ ... قَبَـائِـي وَحَتَّـى بَـلَّ أَقْمُصِـيَ الـدَّمِ
مُحَـافَظَـةً إِنِّـي امْـرُوءٌ ذُو حَفِيظَـةٍ ... إِذَا لَـمْ أَجِـدْ مُسْتَـأْخَـراً أَتَقَـدَّمُ

قال: وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، فأبلي جهاراً بين يديه»[1].

ز ــ ةأنشد حماد الراوية لخالد بن يزيد بن معاوية:

قَصْـرُ الجَـدِيـدِ بَلَـىً وَقَصْـ ... ـرُ العَيْـشِ فِـي الـدُّنْيَـا انقِطَـاعَـهْ
مَـنْ نَـالَ فِـي الـدُّنْيَـا مَتَـا ... عـاً ثُـمَّ طَـالَ بِـهِ مَتَـاعَـهْ؟
أَمْ أَيُّ مُنْتَفِـعٍ بِشَـيـ ... ـءٍ ثُـمَّ دَامَ بِـهِ انْتِفَـاعَـهْ؟
أَمْ أَيُّ شِعْـبٍ ذِي التِئَـا ... مٍ لَـمْ يُشَتِّتْـهُ انْصِـدَاعَـهْ؟
وَالأَوَّلُ المَـاضِـي الَّـذِي ... حَـقٌّ عَلَـى البَـاقِـي اتِّبَـاعَـهْ

---

(١) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ص ص ٧٤ ـ ٧٥.
معلماً: الذي يعلم فرسه، أي يعلق عليه صوفاً ملوناً في الحرب، ليعلم الناس مكانه.
النخيلة: موضع بالبادية.
أرديت: قتلت.
قبائي: القباء مفرد أقبية، وهو
أقمصي: جمع قميص وهو الذي يلبس، وقد يعنى به الدرع فيؤنث.

قَـــدْ قَـــالَ فِـــي أَمْثَـــالِـــهِ يَكْفِيـكِ مِـنْ شَـرٍّ سَمَـاعَـهْ[1]

المناقشة:

رأينا فيما سبق، مما يوثق رواية حماد، كيف كان أولئك الذين يطعنون في روايته، من أمثال المفضل الضبي، والأصمعي... إلخ، يروون عنه، أو يشتركون معه في روايته بعض الشعر، وكيف روى مشافهة عن رواة معتمدين أقدم منه، مثل سماك بن عبيد راوية الأعشى، وكيف أن رواة أعراباً مثل أبي حنش الهذلي، يؤيد ما يرويه حماد، بل إن رجالاً مسؤولين ولهم الشهرة، كانوا يستنشدونه مطمئنين إلى روايته.

ولدينا هنا، على سبيل المثال نماذج من الشعر الذي تفرد حماد بروايته. وإنه لمن التسرع أن نرفض هذه النماذج على أساس أنها من صنعة حماد، فإن قصيدة زهير:

لمـن الـديـار غشيتهـا بـالفـدفـد كالوحي في حجر المسيل المخلد

و:

أعـن كـل أخـدان وإلـف ولـذة سلـوت ومـا تسلـو عـن ابنـة مـدلـج

هما مما انفرد بهما حماد أيضاً، وإن كان هنا ما يوحي بأن الأصمعي روى الأولى، وأن أبا عمرو الشيباني روى الثانية. ويدل النقد الفني لهاتين القصيدتين على أنهما من الشعر الذي اختص بقول مثله زهير.

وهكذا، فإن النقد الفني نفسه يدل على أن الأبيات الجيمية، والدالية، هي من الأبيات التي تتسق فنياً مع أسلوب زهير وطريقته، وإذا كنا نلاحظ أن الأبيات الرائية تخرج نوعاً ما عن هذين المنحيين، فإن هذا الخروج، يجعلنا نذهب إلى ما لاحظناه من ظاهرة التداخل والاختلاط،

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ ٤، ص ٧١.

التي تنفي تهمة صناعة الشعر عنه ـ لأنه لم يصنع أياً من أبيات القصائد الماضية، لاختلاف الطريقة والنهج ـ وتنقلنا إلى أن هذا العدد المحدود، والمحدود جداً، مما انفرد حماد بروايته، إنما هو من موثقات روايته، فقد اشترك معه في رواية الكم الكبير من الشعر القديم (الجاهلي والإسلامي والأموي) رواة آخرون، بعضهم كان قريب العهد بالشاعر (الأعشى، زيد الخيل، مثلاً).

وإن اختلاف الأساليب في رواية القصائد، لهو الحجة الدامغة على أن كل قصيدة إنما تمثل صاحبها. وما اختلاف هذه الأبيات الرائية عما نسب إلى حماد من شعر قاله، أو «صح» له قوله، إلا أحد جوانب تلك الحجة التي لا تدع حماداً أشخاصاً، بل شخصاً واحداً، إما راوية للشعر يروي لشخصيات متميزة، وإما شاعراً.

obeikandl.com

الفصل الثالث

نماذج من روايات حماد للقصص والأخبار

١ ــ «ذكر حماد عن سعيد بن عمرو بن سعيد، عمِّه:

أنه بلغه أنه كان يقول ـ وكان هجا أهل بيت من كلب من بني عُلَيم بن جناب، وكان بلغه عنهم شيء كرهه من وراءَ وراءَ. وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم فنزل بهم، فأكرموه وأحسنوا جواره وواسوه. وكان رجلاً مولعاً بالقمار، فنهوه عنه، فأبى إلا المقامرة، فقمر مرة فردوا عليه، ثم قمر أخرى فردوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه. فرحل من عندهم وشكا ما صنع به إلى زهير، والعرب إذ ذاك يتقون الشعراء اتقاء شديداً، فقال يهجو عليماً، وقال: «ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خشيت أن يصيبني الله بعقوبة، لهجائي قوماً ظلمتهم». فقال:

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالحساء»[1]

---

(١) شرح شعر زهير، ص ٥٢، وانظر، ص ٥٢.

وجاء في الحاشية زاد الأعلم: «فزعم أنهم أغاروا عليه... ويقال إن ذلك الرجل لما خلع من ماله، رجا أن يحوز الخَصْلَ له، فرهن امرأته وابنته، فكان الفوز عليه».

الجواء: أرض.

٢ ــ «قــال (زهير) يمدح حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري:

قال حماد: وكان عمرو بن هند حين قتل حذيفة وكانت الحرب بين غطفان، طمع في حصن وفي غطفان أن يصيب بهما حاجته، وكان حصن والحليفان لم يدينوا لملك قط. فأرسل إلى حصن: إني ممدك بخيل، فأدخل في مملكتي، واجعل لك ناحية من الأرض. فأرسل إليه حصن: ما كنت قَطُّ أفرغ لحربك مني الآن، ولا أكثر عدة. فإن كنت لا يكفيك ما جرب أبوك، فدونك لا تعتلل، فإنه ليس لي حصن إلا السيوف والرماح، وإنا لك بالفضاء. وأقبل حصن بالحليفين، أسد وغطفان، حتى نزل زبالة، فصد عنه عمرو بن هند وكره قتاله. فقال: زهير في ذلك:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعـري أفـراس الصبـا ورواحلـه»[1]

٣ ــ «قال حماد: وقال زهير وهو يذكر النعمان بن المنذر حين طلبه كسرى ليقتله، فخرج فأتى طيئاً، وكانت ابنة أوس بن حارثة بن لأم الطائية عنده. فأتاهم فسألهم أن يدخلوه جبلهم ويؤووه، فأبوا ذلك عليه. وكانت له في بني عبس يد، لأن مروان بن زنباع كان أُسر فأحسن في أمره، وكلم فيه عمرو بن هند عمه وتشفع له. على أن عوف بن محلم قد كان أمنه يومئذ وجاء به معه حتى وضع عوف يد نفسِه في يد عمرو بن هند، ثم وضع يد مروان على يده، ويومئذ قال عمرو بن هند: «لا حر بوادي عوف»، فحمله النعمان وكساه، فكانت بنو عبس تشكر ذلك النعمان. فلما هرب من كسرى، ولم تدخله طيىء جبلها لقيته بنو رواحة من عبس، فقالوا له: أقم فينا، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا. فأثنى عليهم خيراً،

---

(١) شرح شعر زهير، ص ١٠١، وانظر بقية القصيدة، ص ١٠١.
أقصر: كف. الرواحل: الإبل. عري أفراس الصبا: ترك الصبا، وترك الركوب فيه.

وقال: لا طاقة لكم بكسرى، فقال زهير في ذلك...»[1].

٤ ــ «قال حماد: ذكروا أن بشامة بن الغدير أخو أم زهير بن أبي سلمى، وكان أشعر غطفان في زمانه، وكان يعجب زهيراً شعره، وكان رجلاً مقعداً، ولم يكن له ولد، وكان كثير المال ومن أحزم الناس رأياً. فكانت غطفان إذا أرادوا أن يغيروا أتوه، فأمروه واستشاروه فصدروا عن رأيه. فإذا انصرفوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم. فمن أجل ذلك كثر ماله.

وكان أشعر غطفان في زمانه، فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبني أخوته، فأتاه زهير، فقال: يا خالاه، لو قسمت لي من مالك. قال: قد، والله يابن أخت، قسمت لك أفضل ذلك وأجزله، قال: ما هو؟ قال: شعري ورثتنيه، وكان زهير قبيل ذلك قد قال الشعر، وكان أول ما قال. فقال له زهير: الشعر شيء ما قلته. فكيف تعتد به علي، قال: فمن أين جئت بهذا الشعر؟ لعلك ترى أنك جئت به من مزينة. قد علمت العرب أن حصاتها، وعين مائها في الشعر هذا الحي من غطفان.

ثم إن زهيراً تزوج امرأة من بني عبد الله بن غطفان. يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وتكنى أم كعب، فهي أم ولده، ثم لم يزل فيهم، فلم يزل هو وأهل بيته في بني عبد الله بن غطفان حلفاء لهم. ومنزلهم بالحاجر إلى اليوم، كانوا ينزلونه في الجاهلية»[2].

٥ ــ قال حماد لم أدرك أحداً من أهل العلم من قريش يفضل على زهير أحداً من الناس في الشعر. وكان زهير يقول: ما أنا بأشعر من

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٦. وجاء فيه وزعم بعض الناس أنها لصرمة بن أبي أنس الأنصاري، وانظر، ص ص ٢٠٧ ـ ٢١٢، وجاء في الحاشية: «**وقال الأصمعي: وليست لزهير، وقال أبو رياش: هي لأنس بن صرمة الأنصاري**».

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

النابغة. والعرب يفضل كل قوم شاعرهم، غير أن قريشاً قد اتفقت على تفضيل زهير والنابغة»[1].

٦ ــ «قال حماد: أغار الحارث بن ورقاء الأسدي ثم الصيداوي، بأَحَد بني الصيداء بن عمرو بن قعين، على طائفة من بني سليم بن منصور، فأصاب سبياً ومالاً ثم انصرف راجعاً، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار في إبل له، وهو آمن في ناحية أرضهم، فسأله: لمن أنت، فقال: لزهير بن أبي سلمى، فاستاقه، وهو يحرم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان. فبلغ ذلك زهيراً، فأرسل إليه أن يرده فأبى، فقال في ذلك زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكوا

فلما أنشد الحارث بن ورقاء هذا الشعر بعث بالغلام، فلامه قومه وقالوا:

اقتله ولا ترسل به إليه. فأبى عليهم. فقال في ذلك زهير:

ويوم تلافيت الصبا أن يفوتني برحب الفَروج ذي محال موثق»[2]

٧ ــ «عن حماد الراوية، قال:

حدثني معقل بن أبي بكر الهذلي الراوية، وكان قد بلغ مئة سنة، قال: حدثني أبي، قال: شهدت يوم جبلة يوم أقبل ابنا الجون، معاوية

---

(١) شرح شعر زهير، ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) شرح شعر زهير، ص ٢٤٠.

وانظر القصيدة الكافية في المصدر نفسه، ص ص ١٢٧ ـ ١٣٨.

وهي التي يقول عنها الأصمعي: «**ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه**».

ديوان زهير، ص ١٢٧.

والقصيدة القافية في المصدر نفسه، ص ص ١٧٦ ـ ١٨٦. ورواها كذلك أبو عمرو الشيباني والأصمعي.

قوله: «بأحد بني الصيداء..»، لعله: «أحد بني..» دون (باء)، ولكن المحقق أثبت الباء.

وحسان الكنديان، هذا في تميم، وهذا في قيس، وكان مُعَقِّر بن حمار البارقي في بني تميم، فقال هذا الشعر، فقلت لأبي: كم كانت خيل الحيّين مع ما يكثِّر معقر منها؟ قال: كان مع الفريقين نحو من أربعين فارساً»[1].

٨ ــ لما كثر أولاد معد بن عدنان... خرجوا يطلبون المتسع والريف.... وكان الذين أقبلوا... الحيقار بن الحيق... بن قنص بن معد بن عدنان، في قنص كلها... كان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلاط من الناس، فوجدوا الأرمانيين، وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل يقاتل الأردوانيين، وهم ملوك الطوائف، وهم فيما بين نفر، وهي قرية من سواد العراق إلى الأبله، وأطراف البادية، فلم تدن لهم، فدفعوهم عن بلادهم.

... وكان يقال لعاد إرم، فلما هلكت قيل لثمود إرم، ثم سموا الأرمانيين، وهم بقايا إرم، وهم نبط السواد...

... فارتفعوا عن سواد العراق، وصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة، فهم أشلاء قنص بن معد، وإليهم ينسب عمرو بن عدي.. بن لخم.

وهذا قول مضر، وحماد الراوية، وهو باطل...»[2].

---

(١) ابن الجراح، من اسمه عمرو بن الشعراء، ص ٧١.

(٢) الطبري، تاريخ...، جـ ١، ص ص ٦٠٩ ـ ٦١١. مضر: أي نسابة مضر. وقد أمدني أستاذنا المغفور له محمد صديق العوضي بالتالي:

«وروى العوفي (نور الدين بن محمد بن محمد العوفي البخاري ت ٦٣٥ هـ) في كتابه لباب الألباب (بالفارسية) في الجزء الأول أن لبهرام جور (ت ٤٣٩ م) شعر عربي رائع وأنه رأى ديوان بهرام في مكتبة سربل بإزارجه تجاري وينقل العوفي من شعر بهرام.

يرومون تزويجي من الكفو طُلَّبًا ... وما لي من جنس الملوك عديل =

٩ ــ «عن حماد الراوية قال:

دخل جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك، وعنده بنية له يشمها، فقال جرير: ما هذه عندك يا أمير المؤمنين؟ قال: بنية لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها، فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب فيها، فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير، فقال: ما لك والفرزدق؟ قال: إنه يظلمني ويبغي علي، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه، فسرت فيه بسيرتهم، قال جرير: أما والله لئن شئت لتردن الكبائر إلى أسافلها اليوم، فقال الفرزدق: أما بك يا حمار بني كليب فلا، ولكن إن شاء صاحب السرير، فلا والله ما لي كفء غيره، فجعل يزيد يضحك»[١].

١٠ ــ «أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج، قال: وهي الكراريس، ثم دفنها في قصرة الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد، قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة، أعلم بالشعر من أهل البصرة»[٢].

١١ ــ «عن حماد الراوية قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوا منه كان مقبولاً، ومارددوا منه كان مردوداً، فقدم عليهم

= أرى مثلي كالمحال وجوده ... وليس إلى نيل المحال سبيل

و:

فقلت له لما نظرت جنوده ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإني لحامي ملك فارس كله ... وما خير ملك لايكون له حامي

وقد روى حماد بن أبي ليلى شعراً فيه تفاخر وتكاثر بأهل الحيرة لبهرام بالعربية. المعجم في معايير أشعار العجم لشمر بن قيس الرازي».

(١) الأغاني، جـ ٢١، ص ص ٣١٠ ـ ٣١١.

(٢) ابن جني، الخصائص، جـ ١، ص ٣٩٢.

وقال شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٤١: «نستطيع أن ندخل في هذا الباب باب الأساطير ما يروى عن حماد الراوية من أن النعمان...».

علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي أولها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ تأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذا سمط الدهر، ثم عاد إليهم في العام القابل، فأنشدهم قوله:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هذان سمطاً الدهر»[1].

١٢ ــ «كان حماد الراوية يقول: ثقيف من ولد أبي رغال، ورغال من بقية ثمود، وكان أخذ عنزاً ترضع صبياً يتيماً فهلك الصبي، ولم يرم مكانه حتى مات فرجم قبره»[2].

١٣ ــ «الأحابيش...

قال حماد الراوية: إنما سموا بذلك لاجتماعهم»[3].

١٤ ــ «ذكر حماد الراوية: أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة. فقال لحرسه: ائتني بمحدث من المسجد، فأتاه بسبرة بن الجعد، فدخل وسلم بلسان ذلق، وقلب شديد، فقال له الحجاج: ممن الرجل؟ قال: من بني شيبان، قال: ما اسمك؟ قال سبرة بن الجعد، قال: يا سبرة، قرأت القرآن؟ قال: قد جمعته في صدري، فإن عملت به فقد حفظته، وإن خالفته فقد ضيعته، فاتخذه الحجاج سميراً، فما كان يتطلب شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه. وكان يرى رأي الخوارج، وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي... وكان قطري يومئذ يحارب المهلب، فبلغ قطري ما كان من سبرة مع الحجاج، فكتب إليه من جملة قصيدة:

---

(١) السيوطي، المزهر، جـ ٢، ص ٤٧٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ ١، ص ٢٦.

(٣) ابن رشيق، العمدة، جـ ٢، ص ١٩٤.

لشتان ما بين ابن جعد وبيننا

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه، ولحق بقطري، وطلبه الحجاج وَلم يقدر عليه، ولم يَرُع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها:

فمن مبلغ الحجاج أن سميره قلى كل دين غير دين الخوارج

فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد، وقال: هذا من سميري الشيباني، وهو خارجي ولا نعلم به»[1].

المناقشة:

نستدل مما مر على أن حماداً كان يجمع بين رواية الخبر الشعبي والتاريخي. فالرواية عن أبي رغال من ثقيف، رواية دخلت في مجال الأحاديث الشعبية التي ترددت على الألسن وارتبطت بحادثة الفيل، وسياق الخبر الذي يحكيه حماد لا يخرج عما هو معروف حول هذه الشخصية، ولعل هذا يميل بالظن إلى أن حماداً ناقل للخبر وليس صانعه أو مفسره.

ويؤكد التزام حماد بالنص التاريخي تفسيره لمعنى «الأحابيش» من قريش وهو تفسير معروف متردد في كتب اللغة، فهو إذن يتفق مع الإجماع العام ولم يخرج عنه، وهذا الاتفاق يضيّق من دائرة إعمال الخيال لديه في تفسير المواد اللغوية، وإن كان يبين عدم خروجه على النهج العام.

وتأتي قصة الحجاج مع سبرة بن الجعد دليلاً قوياً على دقته في رواية الخبر التاريخي. فليس بين الألفاظ أية فجوات يمكن أن تظهر ميولاً ذاتية لديه، أو تدخلاً من أجل تحريف النص. وهو بروايته هذه يساير ما عرف عن علاقة الحجاج بالخوارج، وموقف الخوارج المذهبي ثم تعبيرهم نثراً

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

وشعراً عن معتقداتهم، ويكشف عن وسائل اتصالهم بعضهم ببعض.

أما بقية الأخبار، فهي أخبار تجمع بين الخبر والحدث، وهي ليست غريبة عن مجال الرواية التي تحاول تفسير ذلك الخبر أو الحدث، ومهما بلغت درجة صحتها، فإن المرء يتوقع منها الحد الأدنى من اليقين، ولعل في عدم معارضتها أو الطعن فيها، ما يجعلها مادة إخبارية خاصة أنها تدور حول قصائد معروفة النسبة لزهير.

أما خبر كتابة النعمان أشعار العرب، فإن رأي شوقي ضيف فيه، قد يكون حجة على أنه، إما خبر داخل الرواية الشعبية، أو الرواية الشفوية، أو هو بدافع العصبية للإقليم.

ويبقى بعد ذلك الخبر الذي أبطله الطبري. والواقع أن فعل الطبري هذا، هو نفسه مثار استغراب، فهو إذ يرجح رواية على رواية، يستند في ذلك إلى مرويات شفهية، وليست نقشية أو مكتوبة. وسواء جاءت هذه الرواية عن طريق رواة مضر (مع ملاحظة الجمع في رواة)، أو عن طريق حماد، أو عن سواهم، فإن الخبر مما يحتمل الصدق والكذب. أما فيما يخص حماداً، فإن هذا الخبر لا يقدح في أمانته، لأنه إنما يروي ما تلقاه من الرواة، أي رواة مضر، فإذا كان الطبري يرفضه، فإن آخرين يقبلونه، لا على أنه حقيقة علمية، وإنما على أنه مرويات شفهية عنده وعند غيره. ولكن الأهم من كل ذلك أن حماداً الذي طعن في روايته كثيراً، يرتفع جداً عن مستوى الرواة الشعبيين، وعلى سبيل المثال محمد بن إسحاق في بعض نقولاته. ونقطة ذات قيمة هنا، وهي أن حماداً لم يرو شعراً شعبياً كالذي يتداوله القصاصون. فهو من الناحية الأدبية راوية للشعر التقليدي، وليس للشعر المتعلق بالخرافات والأساطير والقصص الخرافي. أما ما ينسب إليه من رواية شعر لبهرام، فإن المصادر العربية لم تذكر ذلك، وإنما ذكرته

المصادر الفارسية، وهذا يعني احتياطنا الشديد في كل ما يضاف إلى حماد، خاصة أن كتب التاريخ العربية ذكرت شعراً لبهرام ولم تعزه لرواية حماد.

كما تجدر الإشارة إلى أنه سواء في روايته للخبر الشعبي، أو روايته للخبر الأدبي، إنما يعتمد في ذلك على مصادر عربية من كلا الجانبين، ففي الخبر الشعبي وجدنا رواة مضر، وفي الخبر الأدبي، وجدناه يقول: «**لم أدرك من أهل العلم من قريش...**»، وذلك فيما يتعلق بالشعر خاصة. وهذا القول هو سند من الأسانيد التي انقطعت في رواية كثير من الأشعار، أي إن حماداً كان يتلقى الشعر ممن سبقه، ومن مصادر موثقة.

وتجدر ملاحظة طالما ألححنا عليها فيما يخص تداخل الأسماء فشارح الديوان يقول:

«ذكر حماد عن سعيد بن عمرو بن سعيد، عمه». وهذا اسم لا يتطابق مع سلسلة نسبه التي مرت بنا. فهل حماد هذا غير حماد الراوية؟